الفلاسفة متفقون على أنه اكمل النوع وأفضل النوع البشري وان جنس الرسل أفضل
من جنس الفلاسفة المشاهير ثم قد يزعمون ان الرسل والانبياء حكماء كبار وأن الفلاسفة
الحكماء انبياء صغار وقد يجعلونهم صنفين وليس هذا موضع شرح ذلك فقد تكلمنا
على ذلك في غير هذا الموضع . وانما الغرض ان هؤلاء الاساطين من الفلاسفة
والمتكلمين غاية ما يقولون هذا القول ونحن ذكرنا الامر على وجه التقسيم العقلي الحاصر
لئلا يخرج عنه قسم ليتبين ان المخالف لعلماء الحديث علما وعملا اما جاهل واما منافق
والمنافق جاهل وزيادة كما سنبينه ان شاء الله والجاهل هنا فيه شعبة نفاق وان كان
لا يعلم بها فالمنكر لذلك جاهل منافق . فقلنا ان من زعم انه وكبار طائفته اعلم من الرسل
بالحقائق واحسن بيانا لها فهذا زنديق منافق اذا اظهر الايمان بهم باتفاق المؤمنين
بهم وسيجيء الكلام معه (وان قال) ان الرسل كانوا اعظم علما وبيانا لكن هذه الحقائق
لا يمكن علمها او لا يمكن بيانها مطلقا او يمكن الامرين للخاصة (قلنا) فحينئذ لا يمكنكم
انتم ما عجزت عنه الرسل من العلم والبيان (ان قلتم) لا يمكن علمها (قلنا) فأنتم
والاكابر كم لا يمكنكم علمها بطريق الأولى وان قلتم لا يمكنهم بيانها قلنا فانتم واكابركم
لا يمكنكم بيانها (وان قلتم) يمكن ذلك للخاصة دون العامة (قلنا) فيمكن ذلك
للخاصة من الرسل[1] دون عامتهم . فان ادعوا انه لم يكن في خاصة اصحاب الرسل
من يمكنهم فهم ذلك جعلوا السابقين الاولين دون المتأخرين في العلم والايمان وهذا من
مقالات الزنادقة لأنه ان جعل بعض الأمم الأوائل من اليونان والهند ونحوهم أكمل عقلا
وتحقيقا للأمور الالهية والمعادية[2] من هذه الامة فهذا من مقالات المنافقين الزنادقة
اذ المسلمون متفقون على ان هذه الامة خير الأمم واكملهم وان اكمل هذه الأمة وأفضلها
سابقوها واذا اسلم ذلك فأعلم الناس بالسابقين واتبعهم لهم هم أهل الحديث واهل
السنة ولهذا قال الامام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: أصول السنة عندنا التمسك
بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة

[1] أي بيانها من الرسل لخاصة الناس دون عامتهم

[2] المتعلقة بالمعاد والبعث واليوم الآخر

فهي ضلاله والسنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والسنة تفسر القرآن وهي
دلائل القرآن أي دلالات على معناه . ولهذا ذكر العلماء أن الرفض أساس الزندقة وأن
اول من ابتدع الرفض انما كان منافقا زنديقا وهو ابن سبأ فانه اذا قدح في السابقين الأولين[1]
فقد قدح في نقل الرسالة أو في فهمها أو في اتباعها فالرافضة تقدح تارة في علمهم بها وتارة في اتباعهم[2]
لها وتحيل ذلك على اهل البيت[3] والمعصوم الذي ليس له وجود في الوجود . والزنادقة من
الفلاسفة والنصيرية وغيرهم يقدحون تارة في النقل وهو قول جهالهم وتارة يقدحون في
فهم الرسالة وهو قول حذاقهم كما يذهب اليه اكابر الفلاسفة والاتحادية ونحوهم حتى كان التلمساني
مرة مريضا فدخل عليه شخص ومعه بعض طلبة الحديث فاخذ يتكلم على قاعدته في الفكر
انه حجاب وان الأمر مداره على الكشف وغرضه كشف الوجود المطلق[4] فقال ذلك الطالب
فما معنى قول ام الدرداء أفضل عمل أبي الدرداء التفكر فتبرم بدخول مثل هذا عليه وقال للذي
جاء به كيف يدخل علي مثل هذا ثم قال: أتدري يا بني ما مثل ابي الدرداء وأمثاله ؟ مثل أقوام
سمعوا كلاما وحفظوه لنا حتى نكون نحن الذين نفهمه ونعرف مراد صاحبه ، ومثله بريد حمل
كتابا من السلطان الى نائبه أو نحو ذلك فقد طال عهدي بالحكاية حدثني بها الذي دخل عليه
وهو ثقة يعرف ما يقول في هذا وكان له في هذه الفنون جولان كثير . وكذلك ابن سينا
وغيره يذكر من التنقص بالصحابة ما ورثه عن ابيه وشيعته القرامطة حتى تجدهم اذا ذكروا
في آخر الفلسفة حاجة النوع الى الامامة عرضوا بقول الرافضة[5] الضلال لكن أولئك[6] يصرحون
من السب باكثر مما يصرح به هؤلاء[7] . ولهذا تجد بين الرافضة والقرامطة والاتحادية
اقترانا واشتباها يجمعهم امور منها الطعن في خيار هذه الأمة وفيما عليه أهل السنة
والجماعة وفيما استقر من اصول الملة وقواعد الدين ويدعون باطنا امتازوا به واختصوا
به عمن سواهم ثم هم مع ذلك متلاعنون متباغضون مختلفون كما رأيت وسمعت من ذلك
ما لا يحصى كما قال الله تعالى عن النصارى (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) .
وقال عن اليهود (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا

[1] من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان

[2] أي وفي علم السابقين بالرسالة

[3] أي ان الذين يعلمون مقاصد الرسالة ويتبعونها هم اهل البيت من آل علي والامام المعصوم من ذريته

[4] الذي هو وجود الحق والخلق عندهم لا تعدد فيه ولا تمييز

[5] أي الرافضة

[6] أي الفلاسفة ابن سينا واضرابه